البحث الحادي عشر

عيسى عليه السلام

وخلقه من الطين طيرا، وإحياؤه الموتى، وإبراؤه الأكمه والأبرص

الوارد في الإنجيل والقرآن

جوابا لسؤال من (رام الله):

جاءني سؤال ضمن تحرير بإمضاء محمد عبد العزيز الحصاونة معلم مدرسة دار التربية والتعليم ببلدة كوير- رام الله- القدس. هذا نصه:

وبعد فإني أبادرك بكتابي هذا على غير معرفة سابقة بيننا، وأهنئك على ما أوتيت من علم وحمة حتى صرت (كأنك علم في رأسه نار) وأصبح من بحر علمك الزاخر يرتوي الظمآن، وإليك ينتهي أمر كل من هو في حيرة، وحاشا أن ترد الولهان.ولما كنت اثق بحلمكم وأجزم بفضلكم جئت طارقا بابكم وسائلا إياكم سؤالا ورد على فتلجلجت في الجواب عليه، ولي وطيد الأمل أن أدرك هدفي أو أصيب أمنيتي.

مولاي: تصفحت كتابكم المسمى (أفكار مؤمنين في حقائق الدين) ثم قرأت شرحكم الوافي على موضوع (معنى أحياء المسيح للموتى ص ٢٦) من كتابكم المذكور فبعد التتبع والإمعان رسخ في ذاكرتي ما جئت به من الأدلة والبراهين التي تبرهن حتما ويقينا أن أحياء الأموات عمل لا يقدر عليه غلا الله ولا يمكن أن يتدخل فيه أحد من خلقه، وأن وظيفة الأنبياء أنما هي إحياء النفوس الموتى بالكفر والضلال، فيحيون نفوسهم وقلوبهم بالإيمان وصالح الأعمال. فالحق أقول والحق يقال أن شرحكم لم يدع في قلب أحد ريبة من أن أحياء الأموات ليس من وظيفة الأنبياء موقد أصبحت أعتقد كل ذلك وأبث تعاليمكم لكل الناس حتى اعترضني أحد المسيحيين فوقع الجدل بيننا وأقمت الحجة عليه لولا استشهاده بالآية القرآنية القائلة في سورة المائدة ١١٣ (وإذ تخلف من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني) فتعذر علي الجواب وعظم علي الأمر لأني استندت على ككتابكم واثبت لمن يزعم إحياء المسيح للأموات أن ذلك غير ممكن، ولكن ظاهر الآية المتقدمة تدل على أن المسيح كان يخلق من الطين طيورا بإذن الله فإذا ثبت له ذلك ثبت إحياؤه للأموات بالأولى فإذا كان لهذه الآية تفسير غير ذلك فسيزول الإشكال. وعليه فأرجوك الجواب فتسدي لي جميلا لن أنساه وتعلمني مما علمت رشدا) انتهى نص مكتوب المعلم المذكور فأجبته بما نصه:

حضرة الأستاذ الفاضل السيد محمد عبد العزيز الحصاونة معلم مدرسة دار التربية والتعليم المحترم.

أخذت كتابكم وعليه أحييكم فأقول:

أقوال المفسرين في ذلك وبيان ضعفها

إن المفسرين قد قالوا في معنى هذه الآية أن عيسى عليه السلام كان يأخذ طينا ويصوره على صورة الخفاش ثم ينفخ فيه فيصير حيا ويطير بين السماء والأرض مادام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا إلى آخر ما قالوه.

ولكني أقول أن تفسير هذه الآيات بما قاله المفسرون بعيد جدا من وجوه:

١. لأن الرواية التي رووها في ذلك لم يكن لها سند صحيح لأنها لم تنقل عن كتاب مقدس ولا عن حديث صحيح، وإنما هي رواية عن وهب بن منبه فقط وليس كل رواية عن أي شخص تعتبر حقا وصدقا بحيث يفسر بها كتاب الله تعالى.
٢. إنه لا يعقل أن تدب الحياة الحقيقية رأسا في جماد على غير السنن الطبيعية ثم تذهب حقيقة عندما يغيب عن أنظار الناس ثم ترجع إليه حقيقة وهكذا، لأن هذه ملعبة في الخلقة الإلهية، ومخادعة للناس لا تليق بمقام الله تعالى ولا بمقام أنبيائه الكرام.

٣. إننا إذا أخذنا الكلام على ظاهره كما يقول المفسرون من أن ما يصوره عيسى على صورة الطير فينفخ فيه كان يصير طيرا في السماء ثم يسقط على الأرض جمادا يصدق على ما اخترعه علماء هذا العصر من الطيارات المتنوعة التي صنعوها من المعادن والأخشاب وباقي الأجزاء المأخوذة من طين الأرض ثم ينفخون فيها من حرارة نار البنزين فتطير في السماء بإذن الله، ثم تنزل إلى الأرض جمادا وحينئذ فقد أصبح لا مزية لعيسى ولا هي معجزة له، ولا داله على نبوته، إذ لو كانت كذلك لأصبح مخترعوا هذه الطائرات الذين أتوا بهذه المعجزات هم أنبياء أيضا كعيسى سواء بسواء في ذلك لأنه خلقوا من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخوا فيها فصارت طيرا وطارت في السماء بإذن الله.
٤. إن لهذه الآية معنى آخر غير ما قاله المفسرون حسبما يدل عليه ما قبل هذه الآية وما بعدها.

ما أفهمه في معنى خلق عيسى من الطين طيرا وأدلتي على ذلك

إن الخلق ما يطلق في اللغة على إيجاد الماديات والأجرام يطلق أيضا على إيجاد المعنويات وكما يسند الخلق إلى الله تعالى يسند إلى غيره أيضا كما قال تعالى في سورة المؤمنين ١٤ (فتبارك الله أحسن الخالقين) ولكن خلق المادة لا يسند إلا إلى الله وحده، وأما خلق الأمر المعنوي، ونقل الشيء من حال إلى حال، ومن صفة إلى أخرى فقد يسند إلى غير الله تعالى كما يقال (فلان خلق أمة) أي أوجد فيها روحا معنوية فصارت أمة حية حياة معنوية بعد أن كانت ميتة موتا معنويا كما يشعر بذلك قوله تعالى: (هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد) فجمع شمل الأمة بعد تمزيق أوصالها خلق جديد لهذه الأمة والخلق الجديد في هذه الآية هو بمعنى الولادة الجديدة أو الولادة الثانية الواردة في الإنجيل، فكلاهما إنما يعني الانتقال من حال رديئة إلى حال أخرى حسنة. وهذا الانتقال يسمى خلقا حتى في كلامنا العادي أيضا كما يقال فلان خلق في فلان روح الحياة أو نفخ فيه روح النشاط أي تسبب في أن يوجد فيه روحا جديدة أي أخلاقا وصفات جديدة عالية كالحمية والنهضة والنشاط والقوة أي غير أخلاقه وصفاته الأولى كالذل والخمول إلى أخلاق أخرى عالية. ثم أنه قد يعبر عن الإنسان الجاهل الجامد البليد بالصخر أو بالحجر أو بالطين ويعبر عن تعليمه وتدريبه وتربيته وتزكيته وبث رو العلم في بإحيائه وإخراجه من هيئة الجماد إلى هيئة الحيوان والإنسان أي من صفات الجمادية إلى صفات الحيوانية الإنسانية كما يقال ان فلان بحسن تعلمه وتربيته وحسن إرشاده وهدايته قد خلق من الصخر أو الحجر أو من الطين إنسان عاقلا، فهيما ذكيا طاهرا، أي جعل الرجل الجامد الذي هو كالصخر أو الطين رجلا عاقلا ذكريا طاهرا أي نقله من طير الجهل ومنخفضاته إلى طين العلم ومرتفعاته.

ثم أن الإنسان الذي خصه الله تعالى بالاقتدار على هذا العمل وتحويل الجماد إلى إنسان أي تحويل الجامد إلى عاقل يعتبر عمله هذا آية من آيات الله لأنه ليس في إمكان أي إنسان أن يفعل ذلك إلا من إذن له الله تعالى به من الأنبياء أي أرسله لهذا الغرض كا ورد في الأثر من أنه كان يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل البدوي الجلف الجاهل الغليظ الكبد القاسي القلب فيصبح بلقاء النبي أو مصاحبته أو متابعته رجلا عالما حكيما كريما ومصلحا كبيرا ومؤمنا تقيا طاهرا.

ومن هذا القبيل قوله تعالى (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني) وكذا قوله تعالى في سورة العمران ٤٩ حكاية عن المسيح عليه السلام (أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله إلخ..) أي قد جئتكم بآية تدل على إني مرسل لكم من ربكم أي مرسل لهدايتكم وهي أني أخلق لكم من الطين أي من الإنسان الذي هو كالطين في عدم الفهم والعقل، وعدم العلم المعرفة، وعدم التقي والصلاح كهيئة الطير أي الطائر إلى حضرة القدس من شدة الشوق فأنفخ فيه من نفث العلم الإلهي، ومن روح الحياة الحقيقية بتأثير التربية والتعليم، والصحبة فيكون (طيرا) أي نفسا حية طائرة بجناح الشوق والهمة إلى جناب الحق في جو الكمال والعلم والحكمة، هذا هو معنى هذه الآية وهذا هو ما يختص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذه هي مزيتهم على غيرهم.

والدليل على أن هذا هو المعنى المراد منها لا غيره قوله تعالى قبلها ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل، ثم قال عقبها إني قد جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا إلى آخر الآية المتقدمة.

فتعليم الله له الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعله رسولا إلى بني إسرائيل لأجل تعليمهم ما تعلمه من الله تعالى هو خلق لهم خلقا جديدا ونفخ لهم من روح الله حتى صاروا طيورا محلقين في سماء العلم والمعرفة والحكمة والطهارة والنقاوة والتزكية. انتهى نص مكتوبي للأستاذ المذكور.

ما أفهمه في معنى إبراء عيسى للأكمه والأبرص

والآن أريد أن أتمم تفسير بقية هذه الآيات وأن أذكر بعض ما ذكرته في كتابنا (أفكار مؤمنين في حقائق الدين) الذي أشار إليه الأستاذ المذكور فأقول:

وأما قوله تعالى: (وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني) وكذلك قوله على لسان عيسى: (وأبرئ الأكمه والأبرص) فالمراد من الأكمه هنا أعمى البصيرة عماء اصليا كالبليد الجامد بطبعه الغليظ العقل بسليقته الغير قابل للتعليم من أصله المظلم قلبه من بدايته. والمراد من الأعمى من عرض له عمى البصيرة والقلب بسبب تقليد غيره وتعلمه ممن سواه بدون تفكير فيما يأخذ ولا تعقل فيما يلقى عليه، وإن كان ذا بصيرة وعقل راجح وفكر قوي ولكنه بالنظر لكونه قد اعتمد على غيره في أخذ المعلومات واستحوذت على أفكاره أنواع الخرافات فقد أصبح أعمى البصيرة ممن قال الله في حقهم (وعلى أبصارهم غشاوة) وقال في حقهم أيضا: (لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك الأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون). وقال أيضا: (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون، ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقال أيضا: (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وقال أيضا (فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) وقال أيضا (أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) فالأكمه هو الأعمى الأصلي سواء كان حسيا أو معنويا، والأعمى هو الذي عرض له العمى حسيا كان أو معنويا.

كما في قوله تعالى في الآية السابقة (صم بكم عمي فهم لا يعقلون). حيث عبر عن الذين لا يعقلون بالعمى كما عبر المسيح عن جهال اليهود بالعميان بقوله في ١٧٠٢٣ (أيها الجهال والعميان) فإنه لا يريد من العميان عميان البصر وإنما يريد عميان البصيرة بالجهل أو غيره.

والمراد من الأبرصي المريض الرذائل والشهوات والسقيم بارتكاب المعاصي والسيئات، والمعاب بنقائص الصفات وأنوا الدناءة والسفالات. فعيسى عليه السلام بالنظر لكون الله تعالى قد علمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل كان يبرئ بتعليمه وحكمته وإرشاده من كان أكمه من نشأته محجوبا عن نور الحق من بدايته، وكان يبرئ أيضا بذلك من عرض له عمى القلب والبصيرة بسبب سوء تعليمه وتقليده غيره في عقائده وخرافاته وكان أيضا يبرئ بذلك من مرضت نفسه بالرذائل والشهوات ومرض قلبه بتتابع وتكرار أنواع الدناءة والسفالات فكان يخلق من الصخر إنسانا ومن الطين طيرا.

ما افهمه في معنى إحياء عيسى للموتى

وأدلتي على ذلك

وأما إحياء الموتى في قوله تعالى (ويحيي الموتى بإذن الله) وكذا قوله في آية أخرى (وإذ تخرج الموتى بإذني) فالمراد من الموتى هنا موتى النفوس بالجهل والكفر والضلال والمعاصي والآثام وموت القلوب الذل والهوان وسوء الأخلاق والتنافر والتباغض والشقاق، والمراد من إحيائها إحياؤها بالإيمان وصالح الأعمال وبالمحبة والسلام والألفة والوئام والإتحاد والتضامن والاعتصام بحبل الله تعالى. والمراد من إذن الله له هو إرساله لهذا الغرض لأن من أرسل شخصا لتحصيل أمر فقد أذن له بتحصيله.

والإحياء بهذا المعنى هو وظيفة الأنبياء التي أرسلوا لأجلها وهو الذي يمكنهم وفي استطاعتهم أن يفعلوه بإذن الله لهم فيه واقداره لهم عليه.

وأما إحياء أجساد الموتى فليس من شأنهم ولا هو في استطاعته بل هو من خصائص الله تعالى كما يصرح بذلك قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائهم من يفعل ذلك من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) وقوله (ربي الذي يحيي ويميت) فالحصر في الآيتين صريح في أن إحياء الأجساد خاص بالله تعالى ولم يعطه لأحد من خلقة بدليل أنه تعالى قد أنكر في الآية الأولى على من يزعم ذلك وعده إشراكا.

بطلان دعوى المفسرين بأن ذلك كان معجزة له

وأدلتي على هذا البطلان

وأما ما قاله المفسرون من أن الله تعالى قد أعطاه وإذن به لبعض الأنبياء كعيسى ليكون معجزة له حيث أنه جائز عقلا في ذاته وكل ما هو جائز عقلا وقام الدليل على ثبوته يجب اعتباره والاعتقاد به فهو قول بعيد من وجوه:

١. لأن المعجزة ما تكون بالإحياء الجسماني فإنها تكون بالإحياء الروحاني أيضا لأن الإحياء الروحاني لا يقدر عليه كل إنسان بل هو مخصوص بالأنبياء كما سيأتي توضيحه.
٢. لأن معنى المعجزة إنما ينطبق بالحقيقة على الإحياء الروحاني لا على الجسماني لأنهم قد عرفوا العجزة بأنها (أمر خارق للعادة) أي لما اعتاد عليه الناس، وجروا عليه حيث أن العادة الجارية إنما تكون وجودية لا عدمية، وأن الخارق إنما يخرق الوجودي لا العدمي وحينئذ فقد لزم أن تكون المعجزة خارقة لأمر ووجودي والموت الحقيقي إنما هو عدم محض فلا يصح أن يقال أن العجزة تخرقه. ولكن الموت المعنوي بالنظر لكونه عبارة عن استعمال الذنوب والخطايا والمعاصي والآثام فهو أمر وجودي فيصح أن يقال عنه أنه قد خرقته معجزة الأحياء المعنوي باستعمال الأعمال الصالحة بدل تلك الأعمال السيئة.
٣. أن الإحياء الجسماني وإن كان جائزا عقلا غلا أنه لم يثبت دليلا لأن هذه الآيات التي جعلوها دليلا عليه ومثبتة له قد عرفت مما سبق لك أنها تحتمل المعنيين وكل ما طرقه الاحتمال لا يثبت به الاستدلال فكيف حينئذ يثبت ويتعين الإحياء الجسماني دون الروحاني، وعليه فإنه لا يوجد دليل صريح أبدا على أن عيسى عليه السلام قد أحيا أجساد الموتى وإن قال به جميع المفسرين.

وأما ما ذكروه أيضا من أن عيسى قد أحيا (لعاذر) وغيره مما نقلوه عن النصارى وعن أنجيلهم فهذا قد رددت عليه وبينت أن ليس المراد منه الإحياء الجسماني قطعا بأدلة صريحة من نفس آيات الإنجيل وبصورة منفصلة موضحة في كتاب المناظرة التي حصلت بيني وبين القس الفريد نيلسن المسمى (أفكار مؤمنين في حقائق الدين) المطبوع سنة ١٣٥٩هـ الموافق سنة ١٩٣٩م وسأذكر شيئا منه فيما بعد.

الأدلة من القرآن ومن التوراة والإنجيل والعقل على ما أقوله في المراد من إحياء الموتى في الكتب المقدسة ومن إحياء عيسى لابنة ياريوس وابن الأرملة الوحيد ولعاذر الواردة في الإنجيل وبيان أنه ليس أحياء جسميا (المعنى المراد من إحياء الموتى في الكتب السماوية. وبيان أنه ليس مخصوصا بعيسى بل كل رسول كان يحيي الموتى بهذا المعنى).

أن ورود إحياء الموتى في الكتب السماوية ليس مخصوصا بعيسى فقط، فقد ورد حق غيره أيضا كخزقيال وهوشع وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل كما هو مصرح به في التوراة والإنجيل، وقد ورد أيضا في حق محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) فمحمد وحزقيال وهوشع وغيرهم من سائر الأنبياء كانوا كلهم مثل عيسى يحيون الموتى بالمعنى الذي بيناه لا بمعنى إحياء الأجساد وإن كان التعبير عن ذلك في الكتب المقدسة يختلف باختلاف الأزمان والعادات أو باختلاف أنواع المجاز والاستعارات. والأنبياء وحدهم دون غيرهم من سائر البشر هو الذين يقدرون على إحياء الموتى بهذا المعنى لأنهم هم أرباب الشرائع الإلهية التي نزلت عليهم من الله والتي أحيوا الناس بها بإذن الله.

وأما من عداهم من العلماء والأولياء والصلحاء إذا أحيوا بعض الناس فإنما كان ذلك بأخذهم عنهم وإتباعهم لشرائعهم وغرفهم من بحارهم، وشربهم من كوثرهم، وأكلهم من مائدتهم وتتبعهم لأعمالهم وسيرهم على آثار أقدامهم. فالأنبياء لا غيرهم هم الذين أحيوا الناس بإذن الله من الكفر إلى الإيمان ومن الضلالة إلى الهداية، ومن الشقاء إلى السعادة، لا فرق بين نبي ونبي آخر بكثرة إتباعه وحسن إحيائه.

وعلى هذا فلا خصوصية، ولا مزية لعيسى على غيره من الأنبياء في ذلك، بل أن نسبة ذلك إليه وإلى حزقيال ويوشع ومحمد لا تدل على اختصاصهم به، ولا على أن هذه النسبة حقيقية وإن هذا الإطلاق حقيقي وان الإحياء إحياء جسمي بل هو إطلاق مجازي معوي كما سأبينه بالأدلة الصريحة من القرآن والتوراة والإنجيل.

على أنه أي فائدة تعود من هؤلاء الأنبياء على العالم الإنساني لو أحيا بعضهم بعض أجساد الموتى ثم رجعت إلى الموت بل أي فائدة تعود على الموتى أنفسهم من إحياء أجسادهم ثم رجوعها إلى الموت في الحال وهل هذا يعد شيئا مذكورا بالنسبة لاحياهم نفوس العالم من الكفر إلى الإيمان، ومن الشقاء إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

ستة أدلة م القرآن على ما نقول

١. قوله تعالى في الأنفال ٢٤: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) فهذه الآية صريحة في أن دعوة الرسول للناس إلى الإيمان وصالح الأعمال وإلى الاتحاد والاعتصام بحبل الله هي احياءلهم بها إذا استجابوا إليه.
٢. ومنها قوله تعالى في الرعد ٣٣: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن رو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فإن هذه الآية تدل على أن المارد هم الكفرة الفسقة الغير معتدين لا موتى الأجسام إذ لا يعقل أن تكلم الموتى بالقرآن أو غيره ما داموا أموات الأجساد.
٣. وقوله تعالى في الروم ٥٢: (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) فإنها تدل على أن المراد من الموتى هم الموتى بالكفر والضلال لا موتى الأبدان والأجسام، وإلا لما صح أن يصفهم بالتولي والأدبار كما أنها تدل على أن المراد من العمى عمي البصائر لا الأبصار.
٤. وقوله تعالى: (وأحيينا به بلدة ميتا فكذلك النشور)فإنها تفيد أن إنزال المطر أحياء للناس الموتى بالقحط. فالموت والإحياء في هذه الآية معنويات.
٥. وقوله تعالى في البقرة ٢٤٣: (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) أي ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدوهم المهاجم لهم حذرا أن يموتوا لو بقوا فيها ودافعوا عن أنفسهم مع أنهم كانوا ألوف أي كثيرين فكان الواجب عليهم لكثرتهم أن لا يخافوا ولا يجبنوا ولا يخرجوا من ديارهم بل يبقوا فيا ويقفوا أمام العدو مدافعين بكل ثبات وجرأة ولكنهم لما خرجوا منهزمين مدبرين قال لهم الله موتوا أي موتا معنويا أدبيا اجتماعيا بتفرق شملكم في البلاد وذهاب قوتكم وضياع عزكم وزوال استقلالكم ثم أحياهم الله تعالى بجمع شملهم وإرجاعهم إلى بلادهم وإعادة استقلالهم ورجوع عزهم ومجدهم إليهم بسبب اتحادهم وتكاتفهم وتضامنهم فيما بعد. وحينئذ فليس المراد.من هذه الآية بيان إماتة أجساد ألوف من قوم مخصوصين ثم إحياء أجساد هذه الألوف الكثرة كما يقول بذلك أكثر المفسرين لأن ذلك لا يتناسب مع سياق هذه الآية ولا مع الغرض المقصود منها بل المراد من هذه الآية بيان إماتة كل أمة كان هذا شأنها من الجبن والخوف من الموت، وبيان أن الله تعالى يحيي هذه الأمة بعد موتها إذا اتحدت وتكاتفت وتضامنت وحرصت على المصالح العامة ونبذت الشخصيات والأغراض ظهريا.
والدليل الصريح على إرادة هذا المعنى دون غيره قوله تعالى في صدر هذه الآية (ألم تر) خطابا لمحمد أو لكل من يرى ويسمع فان هذا صريح في أن الإماتة والإحياء المقصودين في هذه الآية يكونان مرئيين ومشاهدي لكل إنسان في كل زمان. أما تلك الحادثة التي يقولها المفسرون فليست مرئية لأحد ما ممن نزل لأجلهم القرآن حتى يسألهم الله سؤالا تقريريا عما شاهدوه فيها ورأوه منها فعلا ليقوم حجة عليهم.

وهذه الآية تنطبق الآن تمام الانطباق على عرب فلسطين الذين خرجوا من ديارهم المقدسة وهم ألوف مؤلفة حذر الموت الذين داهمهم به اليهود بطائراتهم وقذائفهم، ودباباتهم ومدافعهم، فحيث أنهم لم يثبتوا في ديارهم أمام هجمات اليهود ولم يدافعوا عن أوطانهم ولم يقوموا بواجبهم نحو بلادهم بل هربوا منها خوفا من الموت (قال لهم الله موتوا أي موتا معنويا أصبحوا به أذلاء فقراء لاجئين مهانين ينتظرون الإحسان والصدقة، ويسكنون الخيام المهلهلة الممزقة تاركين وراءهم بيوتهم الشامخة وقصورهم العالية. نرجو الله تعالى كما حقق فيهم صدر هذه الآية أن يحقق فيها خاتمتها القائلة ثم أحياهم) بإرجاعهم إلى أوطانهم وإعادتهم إلى أراضيهم وأموالهم وإلى عزهم ومجدهم أنه على ما يشاء قدير.

٦. وقوله تعالى في البقرة ٢٨: (وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) أي كنتم أمواتا بالكفر والجهل والضلال وبالتفرق والشقاق والاضمحلال قبل الإسلام فأحياكم الله بالإيمان والإسلام وبالألفة والمحبة والاتحاد والوئام، فأصبحتم بنعمة الإسلام إخواننا متحابين. قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) فاعتصام الناس بحبل الله واتحادهم بعد تفرقهم هي حياة لهم بعد موتهم. فالعرب كانوا قبل الإسلام أمواتا فأحياهم الله بعزة الإسلام، وبقوة الاعتصام بحبل الله ثم يميتهم مرة ثانية بتركهم تعاليم الإسلام وبتفرقهم واضمحلالهم وذلهم واستعبادهم كما هو حاصل لهم الآن ثم يحييهم الله مرة ثانية برجوعهم في المستقبل إلى العمل بقواعد الإسلام بظهور المهدي فيهم وإلى الإتحاد والقوة والعزة.

وهذه بشارة للمسلمين بأنهم مهما ضعفوا وذلوا واستعبدوا فلا بد من أن يقووا ويعزوا ويستقلوا. وهذه حياة لهم ثانية ثم إليه أي إلى الله يرجعون أي أما بالفناء العام في الدنيا والاضمحلال التام فيها شأن كل أمة من الأمم وقيام أمة أخرى بدلها، وأما أنهم يرجعون إليه في الآخرة فيجازيهم على كل عمل عملوه في الدنيا من خير وشر وموت وحياة.

وما ذكرناه في هذه الآية هو المراد من قوله تعالى في آية أخرى (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) أي فهل من سبيل إلى الخروج من موت ذنوبنا وخطيئاتنا إلى الحياة وهناك آيات كثيرة غير هذه أيضا تفيد أن الموت والحياة كثيرا ما يراد منها الموت والحياة المعنويان.

وحينئذ فما هو المانع من أن يراد بها ذلك أيضا هنا في قوله تعالى (وأحيي الموتى) كما بيناه بالأدلة الصريحة خصوصا وأن الإحياء الجسماني هو من خصائص الله تعالى وأن الأنبياء إنما أرسلوا لإحياء نفوس الناس وقلوبهم لا لأحياء أبدانهم وأجسادهم.

وتوضيح ذلك أن الإنسان له شعور بلذات وآلام جسدية، وشعور آخر بلذات وآلام روحية، ولذلك كانت له حياة جسدية وحياة أخرى روحية امتاز بها الإنسان عن سائر الحيوان. والأنبياء إنما بعثوا للإنسان لا للحيوان أي لأجل الحياة الروحية لا لأجل الحياة الجسدية الحيوانية. فيلزم على ذلك أن تفسر آيات الحياة والموت المتعلقة بهم بالحياة الروحية التي أرسلوا لأجلها لا بغيرها.

خمسة أدلة من التوراة على ما نقول

أما ادلة التوراة على أن المراد من الإحياء في الكتب المقدسة الإحياء المعنوي الروحاني، فأولها ما ورد في سفر الأمثال ٤٠-١٤٠: (احفظ وصاياي فتحيا). وثانيها قوله فيه أيضا ٦-٩: (أتركوا الجهالات فتحيوا وسيروا في طريق الفهم). وثالثها قوله في حزقيال ١١-٢٠: (وأعطيتهم فرائضي وعرفتهم أحكامي التي إن عملها إنسان يحيا بها).

ورابعها قوله فيه أيضا ٢٧-١٨: (وإذا رجع الشرير عن شره الذي فعل وعمل حقا وعدلا فهو يحيي نفسه). وخامسها قوله في حبقوق ٤-٢: (البار بإيمانه يحيى) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في التوراة بهذا المعنى.

خمسة أدلة من الإنجيل على ما نقول

أما أدلة الإنجيل فأولها قول المسيح عليه السلام (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله) فهذه الآية صريحة في أن كل ما يخرج من فم الله على لسان رسله من الأوامر والنواهي وتشريع الشرائع يسمى إحياء للأمم الميتة فعيسى عليه السلام قد أحيا كثيرا من الناس بكلمات الله التي نزلت عليه وأبصر بها عميانا كثيرين وأبرأ بها الكمه والبرص وكثيرا من الأمراض النفسية المشبهة بالأمراض الحسية.

وثانيها قوله عليه السلام لأحد تلاميذه حينما استأذنه ليدفن أباه (دع الموتى يدفنون موتاهم). فالمراد من لفظ الموتى المذكور أولا هو موتى النفوس، لا وتى الأجسام، وإلا فكيف يمكنهم دفن موتاهم وهم أموات بالجسم مثلهم.

وثالثها قوله عليه السلام لتلاميذه (اذهبوا إلى خراف بين إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين قد اقترب ملكوت السموات اشفوا مرضى طهروا برصا، أقيموا موتى أخرجوا شياطين مجانا أخذتم مجانا أعطوا).

فهذه الآية صريحة في أن الكرز والتعليم هو إقامة، وإحياء للموتى وشفاء للمرضى، وتطهير للبرص، فالشرائع هي إحياء للنفوس الميتة وشفاء من الأمراض النفسية المتنوعة المشبهة بالكمه والبرص والعمى ونحوها. والدليل الصريح على أرادة هذا المعنى في هذه الآية أن المسيح إنما أمر تلاميذه أن يذهبوا إلى الضالين من بني إسرائيل لا إلى موتى الأجسام منهم. فهو قد أمرهم أن يقيموا هؤلاء الضالين من موتهم وضلالهم، ويشفوهم من مرضهم، ويطهروهم من برصهم، فقد بين عليه السلام أن ضلالهم يسمى موتا ومرضا وبرصا حسب تنوعهم في الضلال، وإن هدايتهم من هذا الضلال يسمى إقامة وإحياء لهم من هذا لا موت وشفاء من هذا المرض، وتطهيرا من هذا البرص، ولا يصح أن يراد بذلك إقامتهم من الموت الجسماني، إذ لم يقل أحد بأن

تلاميذ المسيح كانوا يقيمون من الموت الجسماني، إذ لم يقل أحد بأن تلاميذ المسيح كانوا يقيمون أجساد الموتى ويحيونها، وأن المسيح خولهم هذه السلطة التي لا تكون إلا لله وحده، وأنهم عملوا بها مرارا وأعطوها لغيرهم مجانا كما أخذوها مجانا مما يشعر بأن كثيرا من الناس أيضا غير المسيح، وغير تلاميذه كانوا يحيون أجساد الموتى، وهذا مما لا يعقل ولا يقبل به أحد.

نعم إن تلاميذ المسيح كانوا يهدون الناس من الضلالة إلى الهدى مجانا كما أخذوا هذه الهداية من المسيح مجانا، وهذا هو معنى إحيائهم وإقامتهم لغيرهم.

ورابعها قوله عليه السلام: (الحق الحق أقول لكم إنه من سمع كلامي ويؤمن بالي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل منا لموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الإنسان والسامعون يحيون).

وخامسها قوله أيضا: (إنكم تموتون في خطاياكم لأنكم إن لم تؤمنوا بأنني أنا هو تموتون في

خطاياكم). وقوله أيضا: (الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد). وقوله أيضا: (أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد).

فهذه الآيات كلها من أصرح الصريح في أن الموت والحياة إنما هما معنويان فقط حيث تصرح بأن الإيمان بالله تعالى واستماع كلام المسيح والأكل من خبز تعاليمه حياة، وأن الخطاة أموات. وإلا فهل يعقل ن من آمن وسمع كلام المسيح وأكل من خبزه لن يرى الموت الحقيقي الجسماني إلى الأبد! وأنه لن يذوق الموت الجسدي أبدا!

إن هذا مما لا عقله عاقل لأنه مخالف للواقع والمشاهد.

وعليه فأنت ترى أن هذه الآيات من القرآن والتوراة والإنجيل كلها صريحة في أن المراد من إحياء عيسى للموتى إنما هو إحياء نفوسهم بالهداية والتعليم، لا إحياء أجسادهم من القبور الحجرية أو غيرها كما يفهم كثير من المسلمين والمسيحيين.

رأي الأستاذ الإمام في خلق عيسى للطير

وإبرائه للأكمه والأبرص، وإحيائه الموتى

وبيان ضعفه وبعده عن معنى الآيات الواردة في ذلك

كنت أظن أن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قد يتوسع في بيان معنى هذه الآيات بغير ما قاله المفسرون فيها، ولكني ما وجدته زاد عليهم شيئا إلا ما نصه (يجب أن نقف عند حد لفظ الآية وغاية ما يفهم منها إن اله تعالى قد جعل في عيسى عليه السام هذا السر ولم يقل أنه خلق بالفعل ولم يرد عن المعصوم أن شيئا من ذلك وقع، وقد جرت سنة الله تعالى أن تجري الآيات على أيدي الأنبياء عند طلب قومهم لها وجعل الإيمان موقوفا عليها، فإن كانوا سألوه شيء من ذلك فقد جاء به وكذلك يقال في قوله (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) فإن قصارى ما تدل عليه العبارة أنه خص بذلك وأمر أن يحتج به. والحكمة في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك (إقامة الحجة على منكري نبوته، وأما وقوع ذلك كله أو بعضه بالفعل فهو يتوقف على نقل صحيح يحتج به في مثل ذلك) انتهى.

أقول أن رأي الأستاذ الإمام هذا وإن كان فيه الوقف والتسليم فليس فيه البيان والتفسير خصوصا وأن الله تعالى قد أسند الخلق والأحياء بالفعل إلى عيسى عليه السلام في آية المائدة حيث قالت (وإذ تخلق من الطين إلخ.. وإذ تبرئ الأكمه إلخ.. وإذ تخرج الموتى إلخ..) مما هو صريح في حصول ذلك منه بالفعل، وعليه فإن كلام الأستاذ هنا بعيد جدا عن المقصود من هذه الآيات وأن تفسيرنا لها بما قلناه أوفق بالحجة والبرهان، وأقرب إلى معاني التوراة والإنجيل والقرآن لأنه على تفسيرنا يكون المسيح قد أحيا الناس فعلا، وخلق من الطين طيرا بالفعل، بالمعنى الذي قدمناه، ويكون ذلك موافقا لمعنى الولادة الجديدة الواردة في الإنجيل، فالخلق والولادة الجديدة كلاهما يراد به الانتقال من حال إلى حال كما بيناه أتم بيان، وأيدناه بالحجة والبرهان.

إحياء عيسى لابنة ياريوس وابن الأرملة الوحيد ولعاذر

وبيان أنه ليس أحياء جسميا

بقي علينا أن نذكر ما وعدنا به سابقا من بيان معنى إحياء المسيح لابنة ياريوس وابن الأرملة الوحيد ولعاذر الواردة في الإنجيل وذلك نقلا عن كتاب المناظرة بيننا وبين القس الفريد نيلسن الدنمركي فنقول:

إن الإنجيل قد ذكر ثلاث حوادث تفيد بحسب ظاهرها أن المسيح قد أحيا ثلاثة أشخاص بعد موتهم وهم لعاذر وابن الأرملة الوحيد ولابنة ياريوس ويعتقد إخواننا المسيحيون بل كثير من المسلمين أيضا بأنه أحياهم بأجسادهم بعد موتهم حقيقة، ومع أنني بينت لك سابقا بالبراهين العقلية وأدلة الكتب السماوية ما هو معنى إحياء المسيح للموتى فإنني أرى الآن أن لا مندوحة لي من أن أبين ما هو معنى هذه الحوادث الثلاثة أيضا، وأبين أنها لا تدل واحدة منها على أن إحياءهم كان من موتهم لأجسادهم وإنما تدل على أن إحياءهم كان إنما بالإيمان من موتهم بالخطيئة والضلال، وإما بإقامتهم من نوم عميق وإغماء كانوا يظنونه موتا حقيقيا، وسأذكر لك كل حادثة بنصها الموجود بالإنجيل لتحقيق صحة ما أقول:

حادثة أحيائه لابنة ياريوس

وأدلتي من الإنجيل على ما أقوله فيها

الحادثة الأولى: أقامة ابنة ياريوس، ونصها كما في الإصحاح الخامس من الجيل مرقس، وكما في التاسع من إنجيل لوقا (وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين ابنتك ماتت لماذا تتعب المعلم بعد فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت فقال لرئيس المجمع لا تخف آمن فقط ولم يدع أحدا يتبعه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجا يبكون ويولولون كثيرا فدخل وقال لهم لماذا تضجون وتبكون لم تمت الصبية لكنها نائمة فضحكوا جميعا منه، أما هو فأخرج الجميع واخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية ومضطجعة وأمسك بيد الصبية وقال لها (طلبثا قومي) الذي تفسير يا صبية أقول لك قومي وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة فبهتوا بهتا عظيما وأوصاهم كثيرا أن لا يعلم أحد بذلك وقال أن تعطى لتأكل) انتهى.

فأنت ترى أن المسيح نفسه قد قال (لم تمت الصبية لكنها نائمة) وإن الذين قالوا أنها ماتت هم الجماعة الذين يبكون ويولولون.

فيا حضرة القسيس هل تريدون أن تكذبوا المسيح عليه السلام وتصدقوا هؤلاء الجماعة الجهلة، وهل ترضون أن يكون ضحكهم على المسيح في محله، وأنهم أعلم منه في ذلك، هل تقبلون كل هذا لأجل أن تثبتوا بلا دليل أنه أحيا هذه الصبية بعد موتها مع أنه يصرح أنها لم تمت. إن هذا والله لشيء عجاب، ولا يرضى به أحد من ذوي العقول والألباب.

٢- إن هذه الحكاية من أولها إلى آخرها لم يذكرها إنجيل متى ولا إنجيل يوحنا وهذا دليل واضح على أن هذه الحكاية لم تثبت عندهما، وإلا لذكراها فهي غير واقعة ولا ثابتة حيث لم تتفق عليها الأناجيل وعلى فرض وتقدير ثبوتها فقد عرفت من صريح لفظ المسيح المعصوم عن الكذب والتمويه أن هذه الصبية لم تكن ميته وإنما كانت نائمة فقط نوما عميقا أشبه بالإغماء من شدة المرض فأيقظها المسيح من إغمائها ونومها كما صرح بذلك فهل بعد هذا يصح لعاقل أن يقول أن المسيح أحيا ابنة ياريوس من الموت.

حادثة إحيائه لابن الأرملة الوحيد

وأدلتي في الإنجيل على ما أقول فيها

الحادثة الثانية: إقامة ابن الأرملة الوحيد، ونصها كما في الإصحاح السابع من إنجيل لوقا (فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة فما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون فقال أيها الشاب أقول لك قم فجلس الميت يتكلم فدفعه إلى أمه) انتهى.

أقول:

١. إن هذه الحكاية لم يذكرها إنجيل متى ولا مرقس ولا يوحنا، ولا يشير إليها بشيء كأنها لم تكن، فإغفال هذه الأناجيل الثلاثة لهذه الحكاية وعدم اعتبارهم لها دليل واضح على عدم ثبوتها وعلى بطلانها.
٢. أنه على فرض ثبوتها فإن المحمول على النعش ربما كان مغمى عليه إغماء شديدا فظنوه ميتا فحملوه على النعش كما يحصل ذلك كثيرا، فالمسيح عليه السلام قد علم ذلك بوحي من الله فأوقف النعش وأقام المحمول عليه من إغمائه مثل الحادثة الأولى تماما التي صرح المسيح فيها بأنها لم تكن موتا ولكن مؤلف هذا الإنجيل لم يعثر من كلام المسيح من هذه الحادثة على ما يدل على أنها كانت نوما كما عثر هو وغيره على ذلك في الحادثة الأولى والرواية إذا وردت مجملة في الشيء لا مانع من حملها على مثلها من الروايات التي وردت مفصلة في ذلك الشيء.
٣. قد عرفت سابقا أن لفظ ميت ليس مخصوصا في الكتب المقدسة بميت الجسم بل أكثر ما يراد به الموت المعنوي.
٤. إن مما يؤيد أن المراد من الموت هنا في هذه الحادثة هو الموت المعنوي قول المسيح عقب هذه الآية (إن العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثروا في) فإنها تشير إشارة واضحة بأن هذه الأشياء كلها بما فيها الموت الوارد في هذه الحكاية إنما المراد أمور معنوية وهي اهتداؤهم بالمسيح وبشارتهم به وعدم عثورهم فيه أي عدم زلة أقدامهم بمخالفته حتى يتبدل عمى قلوبهم ببصيرة، وصمم أفئدتهم بسمع، وموت نفوسهم بحياة. فالعثور المذكور في هذه الآية لا يصح أن يراد به معناه الحقيقي أي اصطدام جسم بجسم آخر فكذلك باقي هذه الأشياء في الآية نفسها لا يراد معناها الحقيقي أيضا لأنها كلها في آية واحدة، فتفسر على نسق واحد خصوصا وأن أكثر كلمات المسيح عليه السلام إنما هي أمثال وكنايات وتشبيهات واستعارات فالموت والعمى والبكم والبرص ونحوها الواردة في هذه الآية وغيرها من آيات الإنجيل.
إنما المراد بها أمور معنوية مشتبهة بالأمور الحسية، وقد عبر المسيح عن جهال اليهود بالعميان بقوله في متى (١٧:٢٣) (أيها الجهال والعميان) فإنه لا يريد من العميان عميان البصر وإنما يريد عميان البصيرة بسبب الجهل أو غيره.

حادثة إحيائه لعاذر

وأدلتي في الإنجيل على ما أقول فيها

الحادثة الثالثة: إقامة لعاذر كما في في الإصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنا ونص ما هو متعلق بهذا الموضوع منها قوله (وكان إنسان مريضا وهو لعاذر من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها فلما سمع يسوع قال: هذا المرض ليس للموت، وبعد ذلك قال: حبيبنا لعاذر قد نام، ولكنني أذهب لأوقظه) فقال تلاميذه: يا سيد إن كان قد نام فهو يشفى. وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم فقال لهم يسوع حينئذ علانية: لعاذر قد مات وأنا أفرح لأجلكم إني لم أكن هناك لتؤمنوا ولكن لنذهب إليه فقال توما الذي يقال له التوأم للتلاميذ رفقائه لنذهب نحن أيضا لكي نموت معه، فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر فقال مرثا ليسوع يا سيد لو كنت هاهنا لم يمت أخي قال لها يسوع سيقوم أخوك، قالت لها مرثا أنه سيقوم في القيامة في اليوم الآخر قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد. وقال بعض منهم ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت فانزعج يسوع أيضا في نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر قال يسوع ارفعوا الحجر قالت مرثا أخت الميت يا سيد قد انتن لأن له أربعة أيام قال لها يسوع ألم اقل لك أن آمنت ترين مجد الله، فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الرب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف ليؤمنوا انك أرسلتني، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعاذر هلم خارجا فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمصة ووجهه ملفوف بمنديل فقال له يسوع حلوه ودعوه يذهب) انتهت.

أقول:

١. إن هذه الحكاية أولا لم يذكرها إلا إنجيل يوحنا فقط أما إنجيل متى ومرقس ولوقا فلم يذكروا عنها شيئا كأنها لم تكن فإغفالهم إياها وعدم ذكرها دليل واضح على عدم صحتها واعتبارها وعدم ثبوتها.
٢. إنه على فرض صحتها وثبوتها فإنها تحتمل معنيين كل واحد منهما أقرب إلى العقل وأسهل تطبيقا على كلمات المسيح مما هو مشهور بين المسيحيين من اعتقاد إحياء جسمه بعد موته. المعنى الأول: أن يكون لعاذر قد أغمى عليه من شدة المرض وظنوه قد مات فدفنوه في القبر كما يحصل ذلك كثيرا، ولكن المسيح قد علم أنه لم يمت بدليل قوله في صدر هذه الآيات (هذا المرض ليس للموت) وهو صادق في قوله إذ لا يمكن أن يكون للموت ويقول عنه (ليس للموت) وإلا لزم أن يكون المسيح قد كذب في قوله حاشاه الله من ذلك ومكث لعاذر أربعة أيام في القبر الواسع الذي هو مغارة واسعة لا يؤثر في حياته كما تقدم بيانه، وأيضا بدليل قوله (لعاذر حبيبنا قد نام ولكني اذهب لأوقظه).
المعنى الثاني: أن يكون المراد بموت لعاذر استعماله الخطيئة وإدمانه عليها والمراد من القبر الموضع المعد لاستعمال الفواحش والخطايا لأنه قبر الفضائل ومحل الموت الأبدي بدليل قول المسيح لمرثا (سيقوم أخوك لأني أنا القيامة والحياة من امن بي ولو مات فسيحيا) إذ أن ذلك دليل على أن المراد من موت لعاذر وحياته إنما هما معنويان:-

١. لأن المسيح نفسه حينما سمع بمرض لعاذر قال (هذا المرض ليس للموت) فهذه الآية صريحة في أن التعبير بموته في بعض الآيات الأخرى ليس المراد به الموت الحقيقي وإلا لكان المسيح عليه السلام فضلا عن كذبه متناقضا في كلامه. حيث قال أولا أن هذا المرض ليس للموت. ثم قال أنه مات أي بهذا المرض مع أنه معصوم من الكذب والتناقض. فيا حضرة القسيس هل ترضون أن تنسبوا إلى المسيح الكذب والتناقض في الكلام لتثبتوا أنه أحيا لعاذر من الموت الجسماني.
٢. لأن المسيح نفسه قال (لعاذر حبيبنا قد نام لكني أذهب لأوقظه) فهذه الآية صريحة أيضا في أن المراد من موته الوارد في الآيات الأخرى أنما هو النوم العميق الشبيه بالإغماء، وأما قوله (وكان يسوع يقول عن موته) فهذا من كلام مؤلف الإنجيل ومن أفهامه أو من أفهام من نقل عنه وليس من كلام المسيح حتى يكون حجة لأن المسيح إنما صرح بكونه نوما لا موتا وإلا لكان متناقضا في كلامه.

وأما قوله (وهم –أي تلاميذه- ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم) فإنني لا أشك في أن ظن

هؤلاء التلاميذ في محله لما يأتي:-

أ- لأنهم أدرى بمقاصد المسيح وبمعاني كلماته.

ب- إنما ظنوا ذلك بل اعتقدوه لئلا يناقض قوله سابقا (هذا المرض ليس للموت) فخروجا من هذا التناقض قال تلاميذه أنه يعني رقاد النوم.

جـ- لأنه صرح بأنه نوم فهل بعد التصريح من شك.

وعلى هذا فإن قول مؤلف الإنجيل (وكان يسوع يقول عن موته) إنما هو فهم من عند نفسه وإلا لأصبح كلام المسيح وكلام تلاميذه مختلا اختلالا ظاهرا ومتناقضا تناقضا واضحا فنسبة الخطأ في الفهم إلى مؤلف الإنجيل أو إلى من نقل عنه هذا المؤلف، أولا من نسبته للمسيح وتلاميذه.

وأما قوله فقال لهم يسوع حينئذ علانية (لعاذر مات) فهذا التعبير إنما هو حسب تعابير المسيح الكثيرة التي يراد بها الموت المعنوي بدليل قوله عنها (وأنا افرح لأجلكم إني لم أكن هناك لتؤمنوا) إذ أن معنى هذه العبارة أن المسيح لو كان هناك أي عند لعاذر لما تجاسر لعاذر مع وجود المسيح عنده أي يفعل الخطيئة المعبر عنها بالموت كما هو مفاد قول مرثا للمسيح (يا سيد لو كنت هاهنا لم يمت أخي) أي لم يجسر على فعل الخطايا مع وجودك عنده. والتعبير عن الخطايا بالموت لا يكاد ينحصر في كلام المسيح خصوصا وإننا لو اعتبرنا قوله (لعاذر مات) على حقيقته لتناقضه مع قوله (هذا المرض ليس للموت).

د- إن مما يؤيد هذا المعنى المناقشة التي جرت بين المسيح ومرثا حيث قال لها (سيقوم أخوك فقالت له أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الآخر فقال هلا أنا هو القامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا) فهذا صريح في ان التعبير بالموت والحياة في هذه الحادثة غنما المارد بهما الموت والحياة المعنويات أي الخطية والتوبة منها والإيمان بالمسيح.

فأنت ترى أنه مهما حاولت ناقلوا هذه الحكاية مهما اجتهد مترجموها في أن يودعوا فيها عقيدتهم من جعل موت لعاذر موتا جسمانيا وجعل إحيائه إحياء جسديا فإنه بالرغم عن ذلك كله يظهر لك من سياق هذه الحكاية ومن ثنايا عباراتها ما يلدك دلالة واضحة على أن الموت والحياة فيها إنما هما معنويان لا حقيقيان.

ويكفي في الاستدلال على كون إحياءه فعاذر ليس إحياء جسديا أن متى ومرقس ولوقا لم يعتبروا هذه الحكاية بهاذ الشكل قطعيا بل أغفلوها ولم يذكروها كليا لبعدها عن العقل وعدم ثبوتها من جهة النقل. على أنك قد عرفت ما يجب أن يفهم في معناها على فرض صحتها، وبالجملة فإنه لا يوجد آية واحدة في الإنجيل تدل بصراحة على أن السميح عليه السلام قد أحيا أجسادا بل تدل كلها على أنه أحيا نفوسا وأرواحا، ولا شك أن إحياء النفوس والأرواح أعظم وأنفع للعالم الإنساني من أحياء الأجساد لأن حياة النفوس حياة أبدية، وحياة الأجسام حياة فانية ولأن الأنبياء أنما بعثوا لأحياء النفوس، لا لأحياء الأجساد فهذه هي وظيفتهم التي يفخرون بحس أدائها ويتباهون بكثرة إتباعهم فيها ويجندون في إعطائها لأصحابهم وتلاميذهم مجانا ليعطوها هؤلاء أيضا مجانا كما قال المسيح عليه السلام لتلاميذه (أقيموا موتى مجانا أخذتم مجانا أعطوا).

وعليه فقد ثبت لك أن المسيح عليه السلام لم يحيي هو بجسمه بعد موته، وأنه لم يحيي جسما ما بعد موته، وإنما هو كسائر الأنبياء في هذا المعنى وغيره لا خصوصية له عنهم في شيء ما بل هم جميعا سواء في إحياء الموتى، وسواء في كون كل واحد منهم هو المخلص الوحيد في زمنه لأمته من الكفر والضلالة والشقاوة، وسواء في كون كل واحد منهم فاديا لأمته بكل شيء حتى بحياته، كما حصل ذلك لكثير من الأنبياء الذين قتلوا وذبحوا، وحرقوا وماتوا في سبيل هداية أمتهم، وسواء في كون كل واحد منهم هو انب الله الوحيد في زمنه، أي نبوة معنوية روحية كما بيناه لك في مكاتبينا التي طبعت في كتاب (كلمة سواء). فإبراهيم مثلا كان ابن الله الوحيد في زمنه حيث كان أعرف الناس بالله تعالى في زمنه، وأعظمهم عنده فكان وحيدا وهكذا موسى وعيسى ومحمد وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنه كما كان كل واحد منهم أعرف الناس بالله تعالى وأعظمهم عنده في زمنه كان كل واحد منهم ابنا وحيدا لله في ذلك الزمن.

بالجملة فإن أصل وحقيقة هذه الصفات وأمثالها متحققة في كل نبي ورسول بلا استثناء غير أن بعضهم يفضل بعضا فيها بحسن أدائها، وكثرة إفرادها فأكثرهم معرفة بالله تعالى، وأكثرهم أحياء للناس وهداية لهم، وأكثرهم تخليصا وافتداء لامته يكون أفضلهم عند الله تعالى ولذلك قال تعالى في بعض آيات القرآن (لا نفرق بين أحد من رسله) أي لا نفرق بين الرسل في الإيمان بهم وبصفات النبوة والرسالة التي يلزم أن تكون ممنوحة لهم جميعا، وقال في آية أخرى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) أي بحسن أعمالهم وهدايتهم للناس وكثرة إتباعهم وبشدة تعلقهم واتصالهم بالله تعالى.

هذا ما أجبت به القس المذكور ردا على ادعائه بأن المسيح قد أحيا أجساد الموتى ليؤيد بذل دعوة النصارى أن المسيح هو نفس الله الذي لا يحيي الموتى سواه فأرادت أن أبين له الحقيقة في هذا الموضوع كما وضحناه.